الفصل الثاني
تعليم الصبيان القرآن

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴾ [التحريم: ٦].

قال الإمام الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تأويل هذه الآية: «يقول تعالى ذكره: يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله ﴿ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ ﴾ يقول: علموا بعضكم بعضًا ما تقون به من تعلمونه النار، وتدفعونها عنه إذا عمل به من طاعة الله، واعملوا بطاعة الله.

وقوله: ﴿ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا ﴾ يقول: وعلموا أهليكم من العمل بطاعة الله ما يقون به. أنفسهم من النار.

وعن علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في قوله تعالى: ﴿ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا ﴾ أي: علِّموهم، وأدّبوهم»[(١)].

عن عَبْدَ الله بْنَ عُمَر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، قال: سَمِعْتُ رَسُولَ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، الإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»[(٢)].

وعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَهُ المُفَصَّلَ هُوَ المُحْكَمُ، قَالَ: وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: تُوُفِّيَ رَسُولُ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا ابْنُ عَشْرِ سِنِينَ، وَقَدْ قَرَأْتُ المُحْكَمَ»[(٣)].

(١) «تفسير الطبري» (٢٣/ ٤٩٢)

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري (٢/ ٨٩٣)، ومسلم (٣/ ١٨٢٩). وأبو داود (٣/ ٢٩٢٨)، والترمذي (٤/ ١٧٠٥).

(٣) صحيح: أخرجه البخاري (٦/ ٥٠٣٥)، وأحمد (٤/ ٢٢٨٢).

«المُحْكَمَ: وهو الذي لم ينسخ، وقَرَأْتُ: أي حفظت»[١].

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، «**جَمَعْتُ المُحْكَمَ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقُلْتُ لَهُ: وَمَا المُحْكَمُ؟ قَالَ: المُفَصَّلُ**»[٢].

قال ابن كثير:: «وفيه دلالة على جواز تعلم الصبيان القرآن؛ لأن ابن عباس أخبر عن سنه حين موت الرسول ﷺ، وقد كان جمع المفصل، وهو من الحجرات، كما تقدم ذلك، وعمره آنذاك عشر سنين. وقد روى البخاري أنه قال: توفي رسول الله ﷺ وأنا مختون. وكانوا لا يختنون الغلام حتى يحتلم، فيحتمل أنه تجوز في هذه الرواية بذكر العشر، وترك ما زاد عليها من الكسر، والله أعلم.

وعلى كل تقدير، ففيه دلالة على جواز تعليمهم القرآن في الصبا، وهو ظاهر، بل قد يكون مستحبًا أو واجبًا؛ لأن الصبي إذا تعلم القرآن بلغ وهو يعرف ما يصلي به، وحفظه في الصغر أولى من حفظه كبيرًا، وأشد علوقًا بخاطره وأرسخ وأثبت، كما هو المعهود من حال الناس، وقد استحب بعض السلف أن يترك الصبي في ابتداء عمره قليلًا للعب، ثم توفر همته على القراءة، لئلا يلزم أولًا بالقراءة فيملها ويعدل عنها إلى اللعب، وكره بعضهم تعليمهم القرآن وهو لا يعقل ما يقال له، ولكن يترك حتى إذا عقل وميز علم قليلًا قليلًا بحسب همته ونهمته وحفظه وجودة ذهنه، واستحب عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أن يلقن خمس آيات خمس آيات، رويناه عنه بسند جيد»[٣].

«ومن دلائل الحديثين: أن الصغار يبتدئون حفظهم من آخر القرآن لا من أوله، ومثلهم من يكون على شاكلتهم، وأنه لا حرج في هذا التنكيس، ورأى البعض في هذا

---

(١) شرح د مصطفى البغا على البخاري.

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٦/ ٥٠٣٦)، وأحمد (٥/ ٣١٢٥).

(٣) «تفسير ابن كثير» (١/ ٧٤).

الحديث ما يدل على أنه يستحسن ألا يبلغ عشر سنين إلا وقد حفظ المفصل، ومعنى هذا أنه يبدأ بتعليمه في سن السابعة، إذ لا يحتاج الصغير إلى أكثر من ثلاث سنين ليحفظ المفصل ويجوده.

كما أن في الحديثين الدلالة الصريحة على اتباع تلك المنهجية دون تفريق بين صغار وكبار، إلا أنه لا شك في مراعاة مدى الاستيعاب بين الفئات المختلفة للمعاني والأحكام، فيدربون على ما يدرسه الراشدون بحسب الاستيعاب العقلي»[(١)].

«وهذا الأسلوب الحكيم وهو «التدرج» يفقده بعض الآباء والمعلمين الذي يأخذون الطفل بالزجر والعنف غير المحمود، فتنشأ لديه ما يسمى بالعقدة النفسية ولا ترتاح نفسه لتلاوة كتاب الله أو الدراسة أيا كانت بوجه عام»[(٢)].

قال السيوطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ثم ظهرت لذلك حكمة في التعليم وتدريج الأطفال من السور القصار إلى ما فوقها تيسيرا من الله على عباده لحفظ كتابه»[(٣)].

وقال الزركشي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ثم ظهرت لذلك حكمة في التعليم وتدريج الأطفال من السور القصار إليها فوقها يسيرًا يسيرًا تيسيرًا من الله على عباده لحفظ كتابه فترى الطفل يفرح بإتمام السورة فرح من حصل على حد معتبر وكذلك المطيل في التلاوة يرتاح عند ختم كل سورة ارتياح المسافر إلى قطع المراحل المسماة مرحلة بعد مرحلة أخرى»[(٤)].

---

(١) «ذهاب الحزن وشفاء الصدر السقيم»، لعبد السلام مقبل مجبرى (ص: ٣٤٠).

(٢) «كيف تحفظ القرآن الكريم؟»، ص[٥٥] أ. د.: عبد الرب بن نواب الدين بن غريب الدين آل نواب.

(٣) «الإتقان في علوم القرآن» للسيوطي (١/ ٢٢٨).

(٤) «البرهان في علوم القرآن» للزركشي (١/ ٢٢٨).

«وما من شك أن عهد الصبا عهد «الحفظ» وقديما قالت العرب: التعليم في الصغر كالنقش على الحجر.. والأطفال إلى سن دون المراهقة أو بعدها بقليل هم «المادة» الأساسية الأولى لحفظ القرآن الكريم ويتلخص سبب ذلك علميا في أن الأطفال يتمتعون بالتذكر الآلي: roie memory بصورة خاصة وهذا يفسر لنا قدرة الأطفال على استرجاع الأناشيد دون أي فهم للمعنى..وعندما ينمو الطفل عقليا وتكون مادة الحفظ في مستوى إدراكه يفضل التذكر القائم على الفهم»[١].

قال القاضي أبو بكر بن العربي: «إن الصبي أمانة عند والديه، وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة خالية عن كل نقش وصورة، وهو قابل لكل نقش، وقابل لكل ما يمال به إليه، فإن عود الخير وعلمه نشأ عليه وسعد في الدنيا والآخرة، يشاركه في ثوابه أبواه وكل معلم له ومؤدب، وإن عود الشر وأهمل شقي وهلك، وكان الوزر في رقبة القيم به والولي عليه، ومهما كان الأب يصون ولده من نار الدنيا فينبغي أن يصونه من نار الآخرة وهو أولى، وصيانته بأن يؤدبه ويهديه ويعلمه محاسن الأخلاق، ويحفظه من قرناء السوء...»[٢].

❁ ❁ ❁

(١) «علم النفس» د. مصطفى فهمي، (ص: ٢٧٧).

(٢) «المدخل» لابن الحاج (٤/ ٢٩٥).